مئوية

ضمن ما تثيره مئوية ميسلون واحتلال الجيش الفرنسي دمشق نهاية تمّوز/ يوليو 1920، يمكن الوقوف عند وصول الجنرال الفرنسي غورو إلى دمشق وزيارته الجامع الأموي وما قيل عن ذهابه إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي وجملته «الآن عدنا يا صلاح الدين».. هل قالها فعلاً؟

محمد م. الأرناؤوط

الجنرال غورو في دمشق 1920 قالها أم لم يقلها؟

عند ضريح صلاح الدين

منذ بداية هذا القرن، حفلت أجندة المؤرّخين بمرور مئويات لأحداث مهمّة في تاريخ المنطقة العربية، ومن ذلك مئوية وصول سكّة الحديد إلى مكّة المكرّمة وإعلان الدستور العثماني في 1908، والحرب العالمية الأولى في 1914، والثورة العربية في 1916، ووعد بلفور في 2017، وإعلان الحكومة العربية في دمشق في 1918 وغيرها. ويُفترَض عادةً في المئويات أن تكون فرصةً لمراجعة الأحداث بعين نقدية بعيدة عن العواطف والأحقاد التي توظّف لصالح أنظمة فقدت شرعيتها، في ضوء كشف المزيد من الوثائق والمذكّرات للمشاركين في تلك الأحداث والدراسات الجديدة (في لغات أخرى) التي عملت فرقاً في مقاربة تلك الأحداث. ولكن إذا استثنينا «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الذي خصّص ندوتين دوليتين لمئويّتَين من هذه المئويات (مئوية الحرب العالمية الأولى ومئوية الحكومة العربية في دمشق) حفلتا بأوراق قدّمت جديداً بالفعل، وكانت لنشرها فائدة يُفترَض أنّ تحثّ الجيل الجديد من المؤرّخين على مزيد من البحث والنقد لما هو موجود ومسلَّم به من أساطير مؤسّسة لاتجاهات فكرية وسياسية في الكتب المدرسية والجامعية، وحتى في بعض المذكرات لشخصيات يُفترَض أن تكون فوق الشبهات، فإن الحصيلة العامّة لهذه المئويات كانت دون التوقّعات.

وفي هذا السياق تحلّ الآن، ضمن مئوية ميسلون واحتلال الجيش الفرنسي دمشق في نهاية تمّوز/ يوليو 1920، مئوية وصول الجنرال الفرنسي هنري غورو إلى دمشق وزيارته الجامع الأموي وما قيل عن زيارته ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي وجملته «الآن عدنا يا صلاح الدين»، التي لطالما ألهمت الاتجاهات الجديدة الوطنية السورية والقومية العربية والإسلامية العابرة للحدود في صراعها مع العدو الموجود أو المفترض. وكما في كلّ مئوية لدينا هنا فرصة لمراجعة تلك الجملة المنسوبة إلى الجنرال غورو وتفحّص ما فيها من حقيقة وأسطورة. ولا بد أن أعترف هنا بفضل المؤرّخ الأردني المعروف علي محافظة، الذي تصادف أن يكون رئيساً لجامعة اليرموك الأردنية، حين عملتُ بقسم التاريخ خلال 1989 - 1995؛ إذ كان أوّل من نبّهني إلى حقيقة أو أسطورية هذه الجملة السحرية المنسوبة إلى الجنرال غورو؛ فقد كنتُ حاضراً في أكثر من ندوة وحديث له، وهو الذي تخرّج من «جامعة السوربون» ويعرف جيّداً الوثائق والمصادر الفرنسية، قال فيها إنه بحث خلال دراسته في فرنسا وبعد عمله الطويل أستاذاً للتاريخ عن هذه الجملة المنسوبة إلى الجنرال غورو فلم يجد سنداً لها. ولكن هذا لم يغيّر شيئاً من واقع الحالة، وبالتحديد من سحرية هذه الجملة وتطوُّرات استخدامها حتى الآن.

ويفترض هنا، بطبيعة الحال، لحسم ذلك، أن يتمّ تتبُّع أول ولادة لهذه الجملة ونموّها في المكان والزمان، أي فيما نُشر في لغات عدّة عبر مئة سنة، حتى أصبحت راسخة لدى الكتّاب التي يستفيدون منها في ما يكتبونه ويوصلونه من رسائل للقرّاء. ولذلك، لا يجب أن نُفاجَأ هنا بأنّ هذه الجملة المنسوبة إلى الجنرال غورو نمت كأية أسطورة وأصبحت تُنسب إلى أكثر من شخص كما تبهّرت بإضافة كلمات أخرى تناسب أكثر الظروف التي يعيشها السوريون. وهكذا نجد مثلاً في مذكّرات اللواء راشد الكيلاني التي صدرت في دمشق عام 1990، وهو الذي شارك في حرب فلسطين 1948 والأحداث اللاحقة وأصبح لاحقاً سفيراً لسورية في عدّة دول، أن هذه الجملة قد غدت أطول وأكثر دلالة: «يا صلاح الدين، أنت قلت لنا إبان حروبك انتهَ خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليها، وها نحن عدنا لنرانا في سورية»، دون ذكر أيّ مصدر لذلك، مع العلم أن صاحب المذكّرات أقام في فرنسا لدورة عسكرية ويُرجَّح أنه يعرف اللغة الفرنسية. ويمكن أن يكون المدخل المناسب لذلك ما نُشر من دراسات أكاديمية جديدة عشية مئوية الحكومة العربية، وصولاً إلى موقعة ميسلون ودخول القوات الفرنسية إلى دمشق يوم 25 تمّوز/ يوليو 1920. ففي

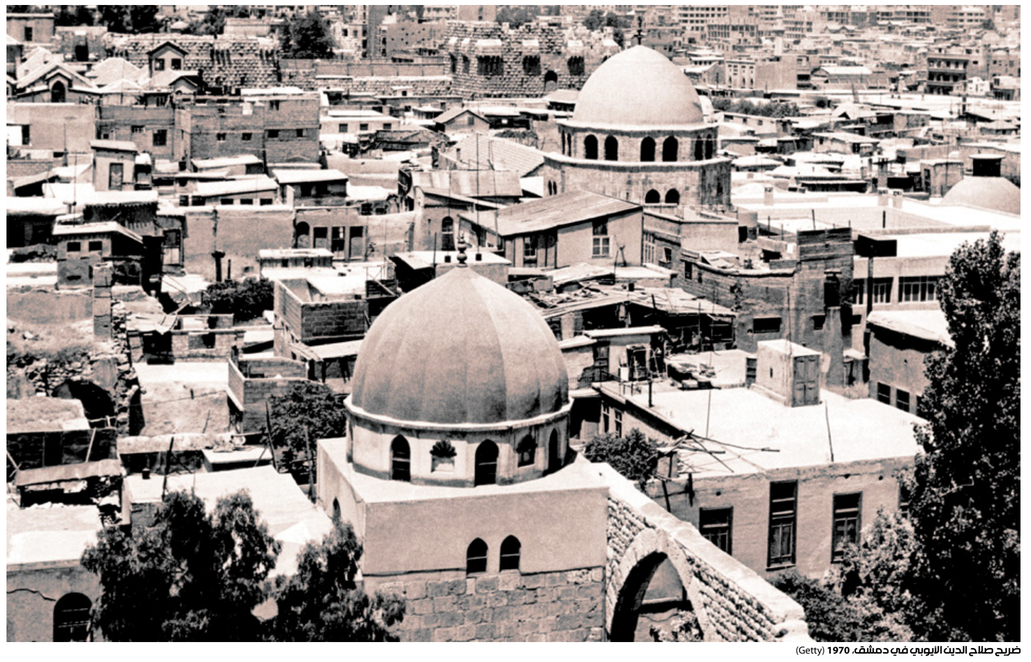
ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق، 1970 (Getty)

جيل جديد من المؤرّخين

تُؤكّد قصّة الجملة المنسوبة إلى الجنرال هنري غورو (الصورة، عام 1917) أهمية الاطلاع على ما يُنشر الآن في الولايات المتّحدة من كتب تمثّل الجيل الجديد من المؤرّخين، مثل جيمس غلفنت واليزابيت توميسّك ومايكل بروفانس، الذين يجيدون العربية ويقرأون بها المصادر والمشاهير، ويعثرون بالتالي على مقاربة مختلفة وغنية وجديرة بالترجمة إلى العربية. فهل من المصادفة أن تكون مؤلّفات هؤلاء غير مترجمة بعد؟

جملة لطالما ألهمت الاتجاهات الوطنية والقومية والإسلامية

لا وثيقة تثبتها ولكن هذا لم يغيّر شيئاً من سحريتها

كتابها «كيف سلب الغرب الديموقراطية من العرب»، تُركّز المؤرّخة الأميركية إليزابت توميسّن، المتعاطفة مع العرب بشكل واضح، على السياق الذي جرت فيه معركة ميسلون والأجواء التي أراد الجنرال غورو أن يشيعها في دمشق خلال زيارته الأولى. وهكذا، في الوقت الذي كان فيه الشيخ كامل القصّاب يجول في أحياء دمشق عشية ميسلون داعياً إلى الجهاد ضد الفرنسيّين، توضّح توميسّن أن غالبية الجنود «الفرنسيين» الواصلين إلى ميسلون كانوا من مسلمي الجزائر والمغرب والسنغال. ومع نتيجة المعركة التي حُسمت بسرعة في 24 تمّوز/ يوليو 1920 لم يتعجّل قائد القوات الفرنسية، الجنرال ماريانو غوابيه، الدخول إلى دمشق مساءً، بل ترك ذلك لليوم الثاني (25 تمّوز/ يوليو)؛ حيث استعرض قوّة فرنسا المنتصرة في شوارع دمشق، ولذلك لا يُعدّ من المستغرب أن تُنسب تلك الجملة السحرية إلى الجنرال غوابيه أيضاً ضمن هذا السياق.

وعلى العكس من ذلك، فقد تأنّى كثيراً الجنرال غورو قبل أن يقوم بزيارته الأولى إلى دمشق، التي جاءت بعد أسبوعَين. ولذلك لا يبدو مستغرباً ضمن نمو الأسطورة وانتشارها أن نجد كاتباً مصرياً ينشر مقالاً بعنوان «ها قد عدنا يا صلاح الدين» (المصري اليوم، 2017/5/27) يقول فيه مستهيئاً بالتاريخ: «دخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق منتصراً بقوّاته وتوجّه من فوره إلى قبر صلاح الدين ليقف أمامه قائلاً: ها قد عدنا يا صلاح الدين»!

وفي الواقع، كما تكشف إليزابيت توميسّن، لم يشأ الجنرال غورو أن يكون دخوله إلى دمشق (على عكس الجنرال غوابيه) مصحوباً بحشد عسكري وخطاب استفزازي، بل كان حريصاً على أن يكون برنامج الزيارة مجاملاً للمسلمين. وهكذا فقد وصل بالقطار إلى محطة الحجاز في دمشق يوم السبت 7 آب/ أغسطس 1920، وبعد الاستراحة نظّم حفلة استقبال وعشاء لكبار الشخصيات في دمشق. وهكذا كان حريصاً أن يكون على يمينه رئيس الحكومة المتعاونة مع فرنسا علاء الدين الدروبي، ورئيس مجلس الشورى عبد الرحمن اليوسف، اللذان افتخرا خلال الحديث بأن أولادهما يدرسون في فرنسا.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إضاءة

فريدريش هولدرلين على مسافة قرنين ونصف

الشاعر الألماني الذي لم يصل بعد

يصادف هذا العام الذكرى 250 لولادة الشاعر الألماني فريدريش هولدرلين، وضمنها يقام بداية من اليوم في هايدلبرغ معرض يُعيد تركيب مسارات حياته وقراءاته

شوقي بن حسن

من مجنون محجور عليه، مقروء في دوائر محدودة، إلى علَم أدبيّ بمرتبة «شاعر الأمة»! يبدو مسار فريدريش هولدرلين (1770 - 1843) عجائبياً، غير بعيد في ذلك عن أجواء كتاباته. بقي الشاعر الألماني لعقود تحت رحمة قرّاء صغار، قبل أن ينصت لترانيمه الفلاسفة من أمثال نيتشه وهايدغر فيقدّموه إلى الأزمنة الحديثة كأحد أنبياء الحداثة، وقبل ذلك كأحد آباء ألمانيا الجديدة. يصادف هذا العام الذكرى 250 لولادة هولدرلين، وضمنها يقام بداية من اليوم الأربعاء، في «متحف كوربفالزيش» بمدينة هايدلبرغ جنوب ألمانيا معرض يُعيد تركيب مسارات حياة الشاعر الألماني، ولكن هذه الحياة لا تتوقّف بتاريخ رحيله، إذ إنّ أثر هولدرلين له حياته أيضاً؛ المتقلّبة هي الأخرى. انفتح وعي هولدرلين في نهايات القرن الثامن عشر، أواخر عصر التنوير، بعيداً عن مركزه الباريسي، وقتها كان غوته وڤان هومبولت وكانط وآخرون ينهضون بنقل الثقافة الألمانية من التبعية إلى أخذ موقع أساسي في عوالم الفكر والأدب والفن، وبمرور العقود استلم هذا المشروع النهضوي جيل جديد من المفكّرين والشعراء والموسيقيين وعلماء الرياضيات. تبدو 1770 سنة فارقة، فمع هولدرلين شهد العام ولادة بيتهوفن وهيغل؛ والثاني ستتقاطع مساراته مع هولدرلين في أكثر من محطة، خصوصاً في فرانكفورت في سنوات التكوين الذهني لكليهما، قبل أن يذهب أحدهما إلى أمجاده الفلسفية في برلين، ويظل الثاني هائماً بين مدن الجنوب وحتى بين الأجناس الأدبية. وإذا كانت الفلسفة قد قادت هيغل للقول بموت الشعر، فإن هايدغر - على بعد قرن تقريباً - سيشير إلى أن في شعر ترب هيغل إشارات إلى المسالك التي تفضي خارج الطرق المسدودة.

وجد هايدغر الكثير من مواد فلسفته الوجودية في نصوص هولدرلين، وجدها مبعثرة فحاول نظمها في رؤية موحّدة جامعة تؤسس لأفق جديد للشعر في عصرنا. لاحقاً، أصبحت القراءة الهايدغيرية مدخلاً إلزامياً إلى هولدرلين حاول كثيرون التخلّص منه، أبرزهم تيودور أدورنو، لكن صاحب «أصل العمل الفنّي» حافظ على موقعه لقلّة من يمكنه أن يتعامل مع نص هولدرلين بندّية، فقد كان الأخير يبني بالشعر والخيال روح أمّة - لم تتجسّد بعدُ سياسياً - بعناصر من ماضيها البعيد - التاريخي والميثولوجي - وآخرى من زمنه ويومياته، وكان من الطبيعي أن يتعرّض شعره بعد ذلك للتوظيف النازي فتُحوّل وجهته بحسب «المصالح القومية العليا».

حين نتابع مسارات أثر هولدرلين بعد رحيله، نتساءل ماذا عنّا، ونحن الحضارة العريقة شعرياً؟ هل يحضر شاعر بهذا الحجم في ثقافتنا؟ ماذا أعددنا لاستقباله؟ لقد وصل هولدرلين أساساً في أعطاف قراءة هايدغر له، وبالتالي يعرفه أهل الفلسفة عندنا أكثر مما يعرفه أهل الشعر، وفي ما عدا ذلك ما زالت الثقافة العربية - في ما عدا بعض الترجمات المتفرّقة - تربطها بهولدرلين تلك المحاولة التعريفية التي قدّمها عبد الغفار مكاوي في سبعينيات القرن الماضي ضمن سلسلة «توابع الفكر الغربي».

كان هولدرلين يبني بالشعر والخيال روح أمّة لم تتجسّد بعدُ سياسياً

تمثال لـ هولدرلين في بلدة نورتينغن الألمانية (NT)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مسرح

ابنكْ أيها الأحمق

الكاراتيه القاتل

اكبر مصيبة يمكن ان تحل على الإنسان ليست ان يولد، ولا حتى ان يعاني او يموت. اكبر مصيبة تقع على راس الكائن البشري هي ان يولد لآباء حمقى

جيوفاني مَرتوتشي

أنا أراقبهم، هؤلاء الآباء الذين يأتون لاصطحاب أبنائهم من دروس الكاراتيه التي أُشرف عليها، ويجعلونني أشعر بالمٍ كبير، بل بغضب شديد للصراحة. جو، يقولون لي، كيف حال صغيري؟ هل بمقدوره الوصول إلى الحزام الأسود برأيك؟

في الواقع هم يسألونني، دون أن يملكوا الشجاعة لقول ذلك:

هل يضرب جيّداً؟

يضرب بقوّة؟

هل هو رخو؟

هل يتلقّى الضربات أم هو من يسدّدها؟

هل يراودهم شعور بالفخر، بالنصر، عندما يتفوّق أطفال لا يزال المخاط عالقاً في أنوفهم، أعمارهم تتراوح بين ستّ وسبع سنوات على أقرانهم، وأعلم - دون أن أُخبرهم بالطبع - أنه وفي تلك اللحظة، من يستسلم لديه فرص أكبر للنجاح من ذاك الطفل الذي فاز للتو في النّزال ليعود بعدها إلى المنزل مع آباء على شاكلتهم.

ذلك أنّ أكبر مصيبة يمكن أن تحلّ على الإنسان، منذ الأزل، مذ وُجد على ظهر البسيطة، ليست هي أن يولد، ولا حتى أن يعاني أو يموت.

لا، أبدًا. أكبر مصيبة يمكن أن تقع على رأس الكائن البشري هي أن يولد لآباء حمقى.

لأن الآباء الحمقى، ما لم يموتوا مبكرًا لينتظم بعد ذلك كلُّ شيء، سيرافقونك خلال السنوات الدقيقة التي تكون فيها عجينة مرنة قابلة للتشكيل ومعها رائحة أنفاسهم الكريهة عندما تغدو مراهقًا، وبعدها أيضًا كشخص بالغ، عندما تتعيّن عليك رعايتهم وهم في سنّ متقدّمة، متدهورين والريق يشطّ من أفواههم في حالة عته واضحة، علاوة على كونهم بالأساس حمقى.

وهكذا وقبل أن أقبل بالطفل في دوراتي، أقوم بإجراء مقابلة خاصّة معمّقة مع الوالدين: بعض الأسئلة البسيطة تُمكنّني من الإحاطة بالوضع على الفور.

بعدها، يؤسفني ذلك قليلاً، لكنّني أقوم بمعاقبة الأطفال ذوي الآباء الحمقى، دائمًا وأبدًا، لأن هذا ما ينبغي أن تكون عليه الأمور، لا بُدّ من أن نقيم نوعًا من العدالة في هذا العالم الحقير، لا وجود لأيّ أمل في غير ذلك، هو أمر مكتوب أيضًا، الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون، وبالتالي مصير هؤلاء الأطفال هو أن يصبحوا دون هوادة أو تمنّع كآبائهم: حمقى!

ما يمكنني أنا القيام به، بالطبع على طريقتي، هو أن أجعل من هؤلاء الأطفال على الأقلّ حمقى دون القدرة على ممارسة الكاراتيه، لأنه سيكون أمرًا مثيرًا للسخرية، بل عملاً لا أخلاقيًا بضرب صميم نبل وجمال هذه الرياضة التي أعلّم، تنشئة أطفال حمقى وجعلهم علاوة على ذلك أبطال كاراتيه.

فليجدوا لهؤلاء المناكيد أساليب أخرى ينفّسون بها عن أرواحهم، ليست هذه هي نهاية العالم، بل يمكن أن تكون فرصة لهؤلاء الأشقياء ليكبروا ويختبروا شيئًا من خيبات الأمل ومحن الحياة الأولى وما يعنيه ذلك من انسداد لآفاق. «عندما ترتفع الأمواج، فإن القارب يرتفع أيضًا». كتاب الساموراي. الآية: 116.

خُذ على سبيل المثال حقيقة أن والدي، بسبب نقص المال، لم يتمكّن من جعلي أتابع الدراسة وأجبرني على البحث عن عمل في المصنع في سن مبكّرة جدًا، وقد كان ذلك من حُسن حظّي، لأنه وبفضل المال الذي كسبتُه، تمكّنتُ من تسديد ثمن دورات الكاراتيه المسائية بنفسي. بالطبع، شعرتُ بخيبة أمل صغيرة عندما اكتشفتُ بعد وقاحة أنه بدّد كل مدّخرات العائلة في يوم واحد في الكازينو، وأنه على الرغم من حقيقة أنّني وأنّي كنّا نفعل كل ما في وسعنا، كل يوم لنصل إلى نهاية الشهر، وجد هو طريقة ليشتري فيها لنفسه مكانًا من الدرجة الأولى في المقبرة سرًا.

قبل أن يشنق نفسه في المرآب أمام كلبنا. (وقفة)

أنا أعاقبهم، هؤلاء الأطفال، بطريقة لا يمكن لأحد ملاحظتها، حتى لا تُكتشف الحيلة وينتهي كل شيء، بما في ذلك حياتي المهنية التي لا تشوبها شائبة كمدرّب للكاراتيه.

أخرّبهم على نحو مرهف جدًا.

آه، إذا كنتَ أنت من نوعية الآباء الذين اتحدّث عنهم، وأنا متأكّد من وجود بعضهم هنا، فالمسألة حسابية، إذ تُقدَّر نسبتهم المئوية (بحسبي) بحوالي 74 % من الإجمالي العام للآباء - لقد نما عددهم بشكل كبير في السنوات الأخيرة، قبل عشر سنوات لم تكن النسبة تتجاوز 58 % - إن كنتَ أحد الآباء الحمقى الذين اتحدّث عنهم، فلن تلاحظ أي شيء.

(ترجمة عن الإيطالية: أمل بوشارب)

ما هي الخيانة التي تنمّ عن احترام ويمكن ان تغفرها؟

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

جيوفاني مرتوتشي في احد عروضه

بطاقة

Giovanni Martucci كاتب ومسرحي إيطالي من مواليد تارانتو 1969 صدر له هذا العام: «كلّم إلى الجدار» و«أربعة مونولوغات للغوضى». «الكاراتيه القاتل» هو أحدها، وهو النص الفائز بالمرتبة الأولى للمهرجان الدولي للآلاب «Sandomenichino - Marina di Massa» 2020، عن فرع المسرح. العرض الأول للعمل كان في 8 آذار/ مارس 2014 ضمن مهرجان UNO 4 بمسرح روميتو بفلورنسا.

فعاليات

في معهد العالم العربي بباريس، تقام بداية من السابعة من مساء يوم غد الخميس، 17 من الشهر الجاري، ندوة يقدّم خلالها الكاتب الفرنسي **إدوي بلينيل** آخر أعماله **الحفاظ على الشعب: صحافة، حريات، ديمقراطية** (منشورات لاديكوفارت). من أعمال بلينيل الأخرى: «الكلمات المسروقة» (1997)، و«الصحافي والرئيس» (2006).

تنظّم حلقة مينيرفا للبحث الفلسفي (المغرب) محاضرة يلقيها عبر الإنترنت المفكّر التونسي **فتحي التريكي**، وتحمل عنوان **العيش معاً في زمن ما بعد الحقيقة** عند السادسة والنصف من مساء اليوم. تمثّل ثيمة التعايش ركيزة في فكر التريكي، فقد كانت محورية في عمله «فلسفة الحياة اليومية»، وأعاد الاشتغال عليها بعد تغيّرات عميقة فرضتها التكنولوجيا على المجتمعات.

بداية من الثامنة والنصف من مساء بعد غد الجمعة، تقدّم **نوران ابو طالب** حفلاً في **دار الأوبرا المصرية** في القاهرة. عُرفت ابو طالب في بدايتها في إطار الأندرغراوند والموسيقى البديلة، كما قدّمت مشروعاً في إعادة توزيع أعمال فيروز بروح الأنماط الموسيقية المستحدثة في العقود الأخيرة.

حتى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، يقام في **غاليري البرتينوم** في مدينة درسدن الألمانية معرض يضيء تجربة الفنان الألماني **غيرهارد ريشتر** (1932) الذي يعدّ أحد أبرز أسماء المدرسة التجريدية منذ ستينيات القرن الماضي بإدخاله تنظيرات الأميركي جاكسون بولوك والأرجنتيني لوسيو فونتانا إلى مشهد الفن الألماني.